

مغازفة الناي

طاهر أبو فars



رابعة العديّة

اهداءات ١٩٩٩

١/ محمود محمد علي العيسوي

الإستغوية

طهراؤف

عُزَّازَةُ النَّائِي رَابِعَةُ الْعُدْوِيَّةِ

الطبعة الثانية

مطبعة المطبع والنشر

دار القومية العربية للطباعة
١١ شارع السننم أميدان (الحلش)



جميع الحقوق محفوظة

هذه التمثيلية

أردتُ أن أقول في هذه التمثيلية : إن الطريق
سالكة ، وإن الوصول ممكن إذا أراد الناس
أن يصلوا .

ليست الخطورة أن نخطئ .. فكثيراً ما يهدي
الخطأ إلى الصواب ... وكل بني آدم خطاءون .

إن الخطر الحقيقي يكمن في انعقاد النفس على
الخطيئة والهروب من مواجهتها . والفرار من
الواقع النفسى إلى أفيون المبررات .

فلنعرف خطايانا في مرحلة النقد الذاتى ..
ثم نسلك الطريق فليس هناك ما يمنع من الوصول
كما تقول حوادث هذه التمثيلية .

ملاهر أوفائاً

ما فخرنا ای



شخصيات

مالك ، خادم ،	عبد الله ، والد رابعة ،
عبدّه ، خادمة رابعة ،	أمة الله ، والدة رابعة ،
ابن زياد ، مولى رابعة ،	رابعة
علقمة	الأمير
ورد ، أصدقاء ابن زياد ،	عمار ، صاحب الخمار ،
همام	أبو حرام
اللس	هشام ، أصدقاء الحاة ،
ابن دينار ، فقيه متصوف ،	حمزة
سفيان ، فقيه متصوف ،	مبروك ، خادم ،





كأنما ولد القرن الثاني ليلي هذه الحوادث:
مدينة البصرة ، وكوخ صغير في طرف المدينة.
تأوى إليه أسرة فقيرة : الشيخ عبد الله ،
وزوجه ، أمة الله ، وبناتهما الثلاث .
وجلس الشيخ ناحية يفكر .

إنه يستقبل مولوداً جديداً ، وكان يتمنى أن
يكون غلاماً على بناته الثلاث .

ويصل إلى سمعه بكاء الوليد الجديد .. ويرفع
لأب رأسه وهو يتند :

عبد الله : هيه يا صغيرتي .. أنت لا تعرفين الحياة ، ولكنك
تستقبلينها بالبكاء ..

(ثم وهو يتند) هكذا الدنيا : بكاء ساعة نستقبلها ،
وبكاء ساعة نخرج منها .

(صوت البكاء)

عبد الله : إبيكي .. إبيكي يا صغيرتي ..

عائشة : (في سذاجة الطفولة) وأبيكي أنا الأخرى يا أبى ؟

عبد الله : (في ألم) لا .. لا يا عائشة .

هائشة : حبيبك تريد هذا يا أبى .

عبد الله : (يلاطفها) عائشة ..

أسماء : { : (قبلان فى فرح) أبى... أبى .
سكىنة

عائشة : أسماء .. سكىنة .

عبد الله : انتظرى عائشة .

أسماء : (متضاحكة) أرأيت إلى أختنا الصغيرة يا أبى ؟ .

عبد الله : يارب : أنت قدرت قدبر .

سكىنة : كم هى جميلة يا أبى .

أسماء : (متضاحكة) جميلة . ولكنها تصرخ دائماً .

عبد الله .. (فى ضحكة خفيفة) لعلها تنادينى .

سكىنة : (ضاحكة) أجل يا أبى .

عبد الله : يا الصغيرة المسكىنة .

أسماء : ألا تكلم أمى يا أبى ؟ .

عبد الله : أفعل يا ابنتى .. خذنا أختكما هذه عنى فلاعياها .

عائشة : (فى فرح) ونلعب تحت النخيل يا أسماء ؟ .

أسماء : تعالى عائشة .

عبد الله : (وهو ينهض مثاقلاً) أنت تعلم ، وغيرك لا يعلم
(ثم بصوت مرتفع) لا تنهبا بعيداً .

سكينة : (من بعيد) نحن وراء النخيلات يا أبى .

(باب الكوخ)

عبد الله : (داخلا) كيف حالك الآن يا أم البنات ؟

أمة الله : (تبكى) .

عبد الله : لا . لا تحزنى أمة الله .

أمة الله : (وهي تبكى) كنت أرجو أن تكون هذه المرة ولداً

فقر به عينك يا عبد الله .

عبد الله : (وهو يتألم شعوره) ولكن الله أرادها بنتاً يا أمة الله :

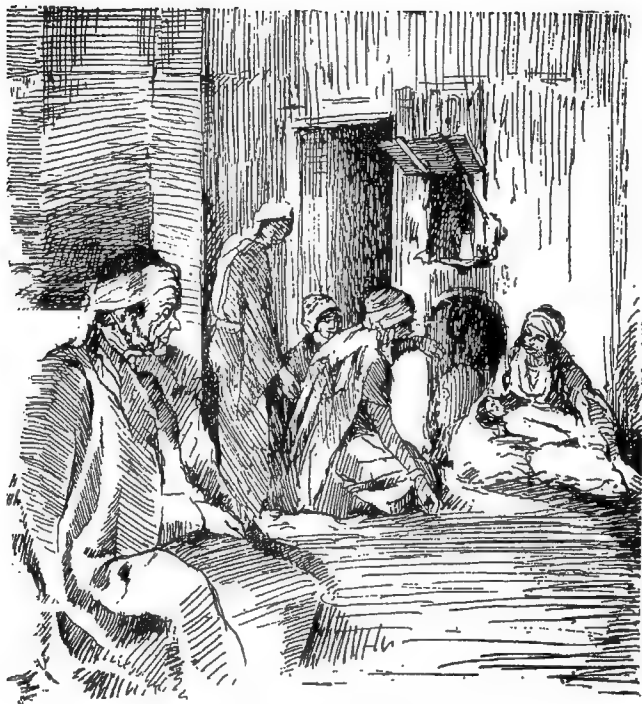
أمة الله : (فى حيرة) إنهن ثلاث بنات . . وهذه . . رابعة .

عبد الله : أهو اعتراض على قضاء الله ؟

أمة الله : (مستنكرة) معاذ الله . . ولكن ألا ترى إلى

ما نحن فيه من فقر وسوء حال .

عبد الله : إه . يدبرها خالق الليل والنهار .



ولكن الله أرادها بنتاً يا أمة الله ..

أمة الله : (وصوتها يتهدج من الإعياء) ليس في الدار قطرة دهن
تدهن بها موضع خلاصها ؛ وليس لدينا مصباح
نستضيء به ، ولا خرق نلفها بها .. ولا .

عبد الله : (يقاطها) كفى .. كفى أمة الله .. أنت متعبة .

أمة الله : (متحيرة) بنت ومسغبة .. إلى الله المشتكى .

عبد الله : (يلاحظها) رويدك أم البنات .. إنك والله
لا تعرفين أين يكون الخير .

أمة الله : (من خلال دموعها) عبد الله .

عبد الله : (يواصل حديثه) لقد والله رأيت فيما يرى النائم
بالأمس كأن هاتفاً يصيح بي : « قم عبد الله ،
واذهب إلى عيسى زاذان » .

أمة الله : أمير البصرة ١١

عبد الله : نعم يا أم البنات ؛ وقال لي الهاتف : « إن الأمير
سيعطيك عقيقة المولود » .

أمة الله : (بصوت حالم) عقيقة المولود ؟

عبد الله : نعم : « وفي يوم مشهود » .

أمة الله : أضغاث أحلام يا عبد الله .

عبد الله : (يراجعها) ولكني قمت من نومي فاستعذتُ من الشيطان ، وقرأت ما تيسر من القرآن . . ثم نمت فإذا الهاتف هو الهاتف ، والكلام هو الكلام .
أمة الله : (في دهشة) عجبا .

عبد الله : (يريد ما دهشة) وقت من نومي قرعاً .. فتوضأتُ ؛ وصليتُ ، واستعذتُ ؛ وقرأت . . ثم نمت فإذا الهاتف للمرة الثالثة . فلم يبق إلا أن تكون رؤيا حقٍ يا أم البنات .

أمة الله : (وقد ازداد عجبها) هذا أعجب يا عبد الله !!

عبد الله : وأى عجب يا أمة الله ؟

أمة الله : ولماذا لم تفعل ما تؤمر ؟

عبد الله : أفعلُ إن شاء الله .

أمة الله : وتذهب إلى الأمير يا عبد الله ؟

عبد الله : أذهب يا أمة الله .

أمة الله : (وكأنها في حلم) ويعطيك عقيقة المولود ؟

عبد الله : (متضحكا) في اليوم المشهود .

(المولودة تبكي أثناء كلامهما)

عبد الله : (في إشفاق) يا للصغيرة المسكينة (ثم في تعلق) انظري

أمة الله .. كم هي جميلة .

أمة الله : ما ذنب هذه الصغيرة .

عبد الله : (يواسيها) لا تبكي أمة الله .. أملي خيرا .. أنا ذاهب

إلى الأمير .

(صويل خيول وهي تقترب لتقف من الباب)

(طرق على الباب وأصوات خفيفة)

أمة الله : (لزوجها) ما هذا عبد الله ؟

عبد الله : لا أدري (ثم رافعا صوته) من الطارق ؟

صوت : (من الخارج) افتح يا رجل .. إنه الأمير .

أمة الله : (تشق من العشة) هيه يا إلهي .

عبد الله : الأمير .. ت .. تفضلوا .

أمة الله : كيف تدعوه عبد الله ؟ (الباب يفتح) .

عبد الله : لقد — والله — كنتُ على أن أسعى إلى الأمير

الأمير : (داخلا) بل نحن الذين نسعى إليك أيها العبد
الصالح .

عبد الله : سيدي .

الأمير : سلامٌ عليك .

عبد الله : وعلى الأمير السلام .

البنات : (مقبلات في خوف وذعر ومن يتصايحن) أبي .. أبي ماذا
يريدون بك .

عبد الله : لا تخافا يا ابنتي .. إنه الأمير .

الفتاتان : (في ذعر) الأمير !

الأمير : (في تلفظ) لا تراعا يا صغيرتي .. أنا في ضيافة أهلك .
أسماء : مرحباً بك يا أمير .

عبد الله : لا أدري ماذا أقول . لقد كنت واقف في طريق
إليك يا مولاي . فساقتك الله إلى .

الأمير : (مستغرباً) هذا عجيب .. (ثم مستدركاً) ولكن لماذا
كنت تقصدين ؟

عبد الله : بل لماذا جئت أنت يا سيدي ؟



لقد كنت - والله - في طريق إليك يا مولاي

الأمير : قل لي أنت أولاً : لماذا كنت تريد أن تسعى إلى ؟
عبد الله : (وهو يمثل الرؤيا التي رآها في منامه) إنه يا سيدي .. إنه ..
الأمير : (يشجعه) إنه ماذا .

عبد الله : إنه حلم رأيته .. وهاتف سمعته .

الأمير : (وقد فوجئ) يا إلهي .. ماذا تقول يا عبد الله ؟

عبد الله : (وقد لاحظ اتمامه) هل .. هل أغضبتك يا سيدي ؟
الأمير : أغضبتني !! قل .. قل يا عبد الله .

عبد الله : (متخوفاً) سيدي .

الأمير : كم مرة جاءك الهاتف ؟

عبد الله : ثلاث مرات يا سيدي .

الأمير : (في غاية التأثر) لا إله إلا الله .. (ثم مقبلاً عليه)
وكلمك عن حقيقة المولود ؟

عبد الله : (في دهشة) الله !! من قال لك يا سيدي ؟

الأمير : الهاتف الذي قال لك يا عبد الله .

عبد الله : يا ربّي .

الأمير : (مواصلاً) لقد رأيتُ ما رأيتَ .. وسمعتُ
ما سمعتَ .. ولهذا أتيتُ .. (ثم وهو يقدم إليه الصرة)
خذ .. خذ عبد الله .

عبد الله : (في دهشة) ماذا ؟

الأمير : هذه هي حقيقة المولود .. وهذا هو اليوم المشهود .
عبد الله : الحمد لله والشكر لك يا أمير .

الأمير : بل الحمد والشكر لله .

عبد الله : (مشيراً إلى حالته) لقد صادف الغيثُ أوانه يا أمير

الأمير : لن تحمل همَّ الحياة ما دمت حياً يا عبد الله .

عبد الله : أطال الله حياتك .. وأحسن جزاءك .

الأمير : (وهو يتبهاً للانصراف) سأراك يا عبد الله .. أليس

كذلك ؟

عبد الله : كلما شئت يا أمير .

الأمير : حسن .. سلام عليك أيها العبد الصالح .

عبد الله : وعلى الأمير السلام .

الأمير : (يرفع صوته لتسمعه أمة الله داخل الحجاب) سلام لك أيتها
الأمّ الصالحة .

أمة الله : وعلى الأمير السلام .

الأمير : (غارجاً) سلام على بناتكم الثلاث .

عبد الله : (يلاحقه متضاحكا) والرابعة يا أمير .

الأمير : (ضاحكا وهو يتعبد) والرابعة .

البنات : (في فرح) دناتير . . دناتير يا أماء .

أمة الله : عبد الله .

عبد الله : انظري أمة الله . . إنها دناتير .

أمة الله : (في فرح) حقيقة المولود .

عبد الله : (وهو يضحك) في اليوم المشهود .

سكينة : إنه رزق أختنا الجديدة .

عبد الله : الرابعة .

البنات : (في ترنم) دناتير . . دناتير . . دناتير .

فان

ومرت السنون ، وتعاقبت الأيام ، وشبت البنات
الثلاث ، ويفعت الرابعة .

وكانت سنة جدباء .. قحط فيها الناس ؛ وكلب الزمان ..
واجتاح البصرة الطاعون ، ورصد الحاكم أفواه
الطرق على البصرة يمنع الدخول إليها والخروج منها
وبات الناس من ذلك في كرب عظيم .

أبو محمد : (معترضا) كلا هذا غير صحيح . والنص صريح :
« لا عدوى ولا هامة ولا طيرة ولا صفر » .

عتبة : وما تقول فيما فعله عمر ؟

أبو محمد : وما تقول أنت في هذا النص ؟

عتبة : أقول ما قاله الصدر الأول : لا عدوى مؤثرة بنفسها .

أصوات : (مختلطة بعضها موافق وبعضها معترض) .

أبو أسامة : (مقبلا عليهم . . . وبصوت يطغى على ضجيجهم)

يا قوم . . يا قوم .

أبو محمد : أبو أسامة !

عتبة : ما وراءك يا أبا أسامة ؟

أبو أسامة : اسمعوا هذا واتركوا هذا .

أصوات : ماذا ؟ .. ماذا ؟

أبو أسامة : لقد رصد الأمير جنوده على أفواه الطرق . يمنعون
من في البصرة من الخروج منها .. ومنعون القادمين
من الدخول إليها .

أبو محمد : (غاضبا) إذن . فقد حبسنا الأمير مع الطاعون
في هذا البلد .

عتبة : حتى لا ينتشر الطاعون .

أبو محمد : (في يأس) أو يقضى الله أمراً كان مفعولا .

مرة : (يهس لعتبة) عتبة .

عتبة : ماذا ؟

مرة : أنظر : أليس هذا عبد الله ؟

عتبة : (وقد اتجه بنظره نحو إشارته) بلى . وهؤلاء بنياته

يمشون وراءه على استحياء .

(ثم يتركه ويسرع إلى عبد الله وهو يقول) يا إلهي . إنه

يتمالك على نفسه (ثم وهو يتجه إليه) عبد الله .. عبد الله .

عبد الله : (في إعيا) آه .

عتبة : (وقد صار إمامه) ماذا أصابك عبد الله ؟

عبد الله : (مثلاً) عتبة .

عتبة : ما بك يا عبد الله .

عبد الله : (في ألم مكتوم) لا شيء .. هيه . الأمر لصاحب الأمر .

عتبة : وأولاء بناتك عبد الله ؟

عبد الله : (مثلاً) أجل يا عتبة .

عتبة : فما شاء الله .. لقد كبرن يا عبد الله .

عبد الله : كبرن . وكبر الزمان يا عتبة .

عتبة : (يهون عليه) لا حيلة في الرزق .

عبد الله : ولا شفاعة في الموت .

عتبة : (يحاول أن يخرج من هذا الجو) ولكن . من أين ؟

وإلى أين يا عبد الله ؟

عبد الله : (في تردد) لقد كنت .. أردت .. ل .. أقصد ..

(ثم يلتفت إلى بناته) أسماء .

أسماء : أبي .

عبد الله : خذي إخوتك وانطلقى بهن بعيداً أبكم عنكن

فيا لا ينبغي لكن أن تسمعن .

أسماء : تعالى سكينه .

سكينه : تعالى عائشة .

عبد الله : (في ألم مكتوم) هيه .

عتبة : تجلده عبد الله .

عبد الله : لقد جهدتنا الشدة يا عتبة . وكان الأمير عيسى

ظلاً فأنحسر الظل .

عتبة : رحم الله الأمير . ولك طول البقاء .

عبد الله : البقاء . لقد تركت أم البنات يأكلها الجوع
ويقترب منها الطاعون وخرجت أبيع بناتي .. أبيع بناتي .

عتبة : (مستنكراً) تبيع بناتك ؟

عبد الله : في لحظة من لحظات اليأس قد يفكر الإنسان فيما
لا يقدم عليه إنسان .

عتبة : (أشد استنكاراً) تبيع بناتك يا رجل ؟

عبد الله : (وصوته يرتعش) قلت أمسك عليهن الحياة .

عتبة : أي حياة يا رجل . حياة الذل والعبودية ؟

عبد الله : (بصوت محقق) وماذا أصنع يا عتبة . إذا أبقيتهن

هلكن جوعا . وإذا بعتم هلكن ذلا ... ماذا
أصنع يا عتبة ؟

عتبة : (في تخوف) وأين الرابعة ؟

عبد الله : (بصوت يخنقه البكاء) الرابعة .

عتبة : (وقد ازداد شكا) أترأى أترك بعثا ؟

عبد الله : بل تركتها في خدمة أمها المريضة . وخرجت بهؤلاء .

وليتنى وجدت من يشتري .

عتبة : عهدي بك غير هذا يا عبد الله ... لا يا رجل ...

ليس هذا طريقك (وهو يخلع قباهه) .

عبد الله : ماذا تصنع يا عتبة .

عتبة : (وهو يقدم له القباء) خذ .

عبد الله : ماذا ؟

عتبة : (وهو يقدم له) خذ . وارجع بيناتك عبد الله .

عبد الله : ما هذا يا عتبة ؟

عتبة : هذا قبائي ... ولو كنت أملك غيره قدمته لك .

عبد الله : تقدمه لي !

عبده : خذه . فانه يساوى شيئاً ... ويسد حاجة .

عبد الله : لا يا أخى . أمسك عليك قبائك . أنت فقير مثلى .

عبده : ولكنى لست فى مثل حاجتك ... هيا عبد الله
(ثم ينادى) يا أسماء . يا أسماء .

عبد الله : ه ... ماذا ؟

أسماء : (مقبلة) ليلك يا عمها .

عبد الله : عبده .

عبده : إرجع بيناتك عبد الله . واعلم أن الذى خلق عباده
لا ينسام .

عبد الله : آمنت بالله .

أسماء : (وقد اقتربت منهما هى وأختها) ليلك يا عمها .

عبد الله : (بصوت متهدج) ابلى .

أسماء : أبى .

عبد الله : خذى بيدى يا ابلى ... (ثم وهو يمشى وصوته يتبع)

يا ما أنت كريم ... يا كريم ، يا ما أنت رحيم ، يا رحيم

يا ما أنت لطيف ... يا لطيف ... يا لطيف .

على فراش الموت

وعلى فراش الموت كانت ترقد أمة الله .. وقد
اشتدت عليها وطأة الطاعون وبجانب منامتها
ركعت رابعة وهى تجهش بالبكاء .

رابعة : (تبكى)

أمة الله : (على فراش الموت) لا .. لا تبكى .. يا .. ابنتى .. يكفى
ما أنا فيه يا رابعة .

رابعة : (من خلال دموعها) بروحى أنت يا أماء .

أمة الله : (بصوت يرتعش) ابنتى .

رابعة : (بصوت مختنق) مرض .. وجع ..

أمة الله : أا .. حمد .. لله

رابعة : أماء .. ألا تخبرينى أين ذهب أبى بأخوتى ؟

أمة الله : (تخفى عنها الحقيقة) ذهب .. إلى الأ .. أمير .. عيسى زاذان .

رابعة : (وتنفجر باكياً) لا يا أماء .. أنت تخفين عنى الحقيقة

لقد مات الأمير بالطاعون منذ ثلاث ليال .

أمة الله : (تبكى) ابنتى .

رابعة : أين إخوتى ؟ أين إخوتى ؟ .

أمة الله : لا تفكرى .. فى هذا .. رابعة .

رابعة : (وهى تبكى) إخوتى .. إخوتى .

أمة الله : اسكى .. اسكى بالله يا ابنتى .

(يفتح الباب ويدخل عبد الله منهاراً)

رابعة : إنه أبى .

أمة الله : لعله .. جاءكم .. بما تبذلون به .

عبد الله : (داخلا وهو عظم) آه .. يارب .

أمة الله : عبد الله .

عبد الله : (فى غاية الحزن) كيف حالك الآن يا أم البنات ؟

أمة الله : أفضيها من عمرى ساعات .. إنه الطاعون يا عبد الله

ألم تجد طعاماً ؟

عبد الله :

أمة الله : وأين البنات ؟

عبد الله : لهن ورأى .. (ثم فى حيرة) لم أجد من يشتريهن .

رابعة : (تشفق من الفزع) وكنت تريد بيعهن يا أبى ؟

عبد الله : (وكأنه يكلم نفسه) ليتنى استطعت .. إذن لأبقيت عليهن الحياة .. ولكنى كنت مخطئاً .. الناس فى البصرة يبحثون اليوم عن اللقمة ولا ينظرون إلى الجوارى .

البنات : (داخلات) أماء .. أماء

أمة الله : أولادى .

رابعة : (صارخة) أسماء .. سكيئة .. عائشة .

أمة الله : (بصوت مبجوح) عبد الله .

عبد الله : (فى غاية الجزع) أمة الله .. أمة الله .

البنات : (فى غاية الجزع) أمى .. أمى .. أماء .

عبد الله : (على بكائهن) لا حول ولا قوة إلا بالله (ويقطع كلته وضع متهالكاً على نفسه) .

البنات : أبى .

عبد الله : إن قدى .. لا تحملان جسمى .. آه

رابعة : وأنت الآخر يا أبى .

عبد الله : (وهو يبكى) اسندينى يا ابنتى (ثم بصوت مبجوح)

أولادى .. أولادى ..

رابعة : (صارخة) أبى وأمى .

البنات : (بكاء) .

الضاربة

وخرجت البينات شاردات .. وفترقت بين السبل ،
وهامت رابعة على وجهها .. في يدعا ناي تنفس فيه
أحزانها ..

رابعة : (يغلبها البكاء ترفع الناي وتوجه إلى السماء)

غريبة الدار .
يقيمة الأبوين ..
إذا أمسيت لا أدرى أين أصبح .. وإذا أصبحت
لا أدرى أين أمسى .
واقبلناه .
إلى أين يا رباه .

(ثم تقف وهي تبكي غناء حزينا)

لغيرك ما مدت يدا وغيرك لا يفيض ندى^(١)
وليس يضيق بأبك بي فكيف ترد من قصدا
ورُكنك لم يزل صمدا فكيف تدود من وردا
ولطفك يا خفي اللط ف إن عادى الزمان عنا
على قلبي وضعت يدا ونحوك قد مدت يدا

سرى ليلي بغير هدى ولا أدرى لآئى مدى
 يطارِدُنِي الأَمْسَى أبداً وَيَرعَانِي الجَوَى أبداً
 وينشرني الهوى روحاً ويطويني الهوى جسداً
 وأطوى اليد طائفةً كأنى فى الفضاء صدى
 نهارى والمهجير لظىً وليلي والظلام ردى
 فواكبدا إذا أضحى وإن أُمسى فواكبدا
 وليس سواك لى سَندٌ فقدت الأهل والسندا
 فقدت الأهل والسندا

(وتفجر ياكية)

عمار : (صاحب الحانة الذى كان يمشى وراء أُنعامها وهى لا تشرب به
 فى الصحراء)

مرحى .. مرحى .

رابعة : (تشفق من الرعب وقد فوجئت به) هيه .

عمار : (يضحك)

رابعة : (فى رعبها) من أنت بحق السماء ؟

عمار : (وقد استرعى نظره جمالها) بل من أنت يا .. يا جنية

الصحراء ؟

رابعة : انشقت عنك الأرض أم هبطت من السماء ؟

عمار : بل أنا وراك منذ ساعة .. وأنت مع هذه الأنعام ..

ساجدة لا تحسین وقع الأقدام .. وتسألتي من أنا ؟

رابعة : (في خوف منه) وما شأنك بي . يرحمك الله ؟

عمار : (يواصل حديثه) فتاة تمشي وحدها في اليلاء .. لا أنيس

لها غير هذا الناي الباكي .. وهذا الغناء الحزين .

رابعة : (وهي تبكي) دعني لشأني .. دعني .

عمار : (يترك كلامه وقبل عليها) أو .. لا . لا تجزعي يا صغيرتي

إن هاتين العينين لم تخلقا للبكاء .

رابعة : (تبكي)

عمار : وهذه الأنعام السماوية .

رابعة : (تبكي)

عمار : (وهو يداعب خدها بيده) يا تبارك الله .. ما أصبح

وما أملح .

رابعة : دعني .. لا تلبسني .. دعني

عمار : لا تخافي يا صغيرتي .

رابعة : اتركني .. اتركني .

عمار : أنت يا صغيرتي .



نحن أربع بنات مات أبوانا في الطاعون . . الذي دم البلاد

رابعة : غريبة الدار .. يتيمة الأبوين .. أرسف في قيود
الذل والهوان .

عمار : لا تراعى يا صغيرتى ... إن جمالك هذا يجنبك كل هوان
(ثم مستدركاً) ولكن . ما هذا الناي ؟

رابعة : إنه سلوةُ المحزون .

عمار : وما هذا الغناء ؟

رابعة : إنه علالةُ المهموم .

عمار : ومن عليك هذه الأنعام يا جميلتى ؟

رابعة : علنى إياها سهدُ الليل وممُّ النهار .

عمار : (مأخوذاً بجملها ومنطقها) لا لا .. أنت يا .. ما اسمك
يا صغيرتى ؟

رابعة : اسمى .. رابعة .

عمار : (ينفجر ضاحكاً) رابعة .. إذن فأين الثالثة وأين الثانية
وأين الأولى ؟

رابعة : إنك لا تهزل .. لمن إخوتي .

نحن أربع يتيمات .. مات أبوانا في الطاعون الذى
دم البلاد .

ولما اشتدت المجاعة بالبصرة . وقطط الناس . خرجنا
نلتهم الحياة . وتفرقت بنا السبل ؛ فهتت على
وجهي لا أعرف أين أمسى .. ولا أعرف أين أصبح .

عمار : حسن . لقد وصلت يا صيتي .

ولكني أعجب !! كيف نجت الشاة من ذئاب الصحراء .
(ثم وقد اكتشف ملاحظتها أكثر) يا لله . ! ما هذا ؟

رابعة : (خالية الدمن) ماذا ؟

عمار : (وهو يتأملها) طلعة كالصبح إذا أسفر . . وشعره
كالليل إذا أظلم . . وصوت كالأصفر . . كيف أصف صوتك
يا . . يا رابعة ؟

(ثم لنفسه في جشع) لقد وقعت على صيد سمين . .
أقبل . . أقبل .

رابعة : كلا . . كلا . دعني .

عمار : لا تراعي يا صغيرتي .

رابعة : دعني . . دعني يا رجل .

عمار : أيها الغزال النافر .

رابعة : أستحلفك بالـ . .

عمار : (يقطعها) لا تخافى يا صغيرتى . . أنا لا أريد بكِ
سوءاً . . ولا أريد إلا الخير لك . أذبرى .

رابعة : دعنى بالله .

عمار : حسنٌ . . حسنٌ . . ستكونين قينةً تسحاكى بها
حانات الأبله . . إسمك — إذن — رابعة .

رابعة : أجل يا سيدى .

عمار : فما ولاؤك ؟ .

رابعة : ولائى لآل عتيك .

عمار : أى بطونهم .

رابعة : بنو عدوة .

عمار : إذن . فأنتِ عدوية ؟

رابعة : أجل ياسيدى .

عمار : هذا جميل . (ثم يحرب وقع اسمها على السمع) رابعة
العدوية .. اسم جميل ، وبسمي أجمل .. تعالى ..
تعالى ..

رابعة : لا .. لا .. أتركني لشأني .

عمار : لا تكوني حقاً .. إنما أنتشك بما أنت فيه ..
تعالى معي .

رابعة : إلى أين ؟

عمار : (في غاية الجشع) إلى حيث الذهب .

رابعة : الذهب !

عمار : والحرير والديباج . هيا يا رابعة .

رابعة : يا ربى .

عمار : (وهو ينطلق بها) بهذا الصوت الساحر .. وبهذا الجمال

النادر .. سأصنع منك شيئاً يملأ ليالى الأبله .. هيا يا رابعة

(ويهقه وصوته يبتعد) .



وعرف عمار كيف يجعل من هذه الشاردة القيمة قينة
تحتاكي بها ليالى الأيلة .

وتسمع الناس بهذه الشادية . . فتواكبوا على حانة
عمار . . وأقبلت عليه الدنيا . . وأصبحت عازقة
النأى الشادية حديثاً قسرى به الركبان .

وازدحمت الحانة بعشاق الهوى والطرب .
وجلس القوم ينتظرون الجارية المغنية . . بينما يصل
إلى أسماعهم صوت نايها المحزون .

أصوات : (تهتفه عالياً) .

حزبة : كأسك يا أبا حرام .

مشام : اشرب .

أبو حرام : على صحتك .

(يظهر صوت النأى من بعيد)

حزبة : (مشيراً إلى صوت النأى) أسمع يا أبا حرام ؟ .

أبو حرام : ذلك هو النأى .

مشام : إنها هى . . هى والله ولأن ترى خير من أن تسمع .

أبو حرام : إن أنغامها تلبس قلبي .

مشام : المهم المغنى وليس الغناء . .

- أبو حرام : (مفرضاً) بل الغناء .
 هشام : (في إصرار) بل المغنى .
 أبو حرام : بل الغناء .
 هشام : بل المغنى .
 أبو حرام : (يلزمه الحجة) أنت تطلب الصبياء .. أم تطلب الوعاء .
 حمزة : (يضحك) .
 هشام : (يستشهد به) الغناء أم المغنى يا أخا تميم ؟
 حمزة : (ولا يزال يضحك) إذا وجد الغناء وجد المغنى .
 أبو حرام : (محتدأ) وقد يوجد المغنى ولا يوجد الغناء .
 حمزة : (يضحك) .
 عمار : (مقبلاً يحمل الأواني) يا سادة .. يا سادة .
 حمزة : أين أنت يا عمار ؟
 أبو حرام : وأين قَيْنُكَ التى يتواصفها الشعراء ؟
 عمار : رابعة ؟
 هشام : أين رابعة ؟
 عمار : آ .. صبراً يا سادة .. إنها تهباً لمجلسكم .
 هشام : (في غضب) ولكنها تعزف نايها يا عمار .

عمار : (مرتبكا) آ... معذرة يا سادة . . (ثم ينادى)
يا رابعة .. يا رابعة .

(يسكت الناي)

عمار : أقضى رابعةً فقد ملَّ الشربُ الانتظار .
(صوت باب)

رابعة : (في دلال وهي داخلة عليهم) ولكن الانتظار تشويق .
حمزة : (مأخوذاً بجملها) رابعة ١١
أبو حرام : يا تبارك الرحمن .

رابعة : (وهي تتضحك) عموا مساء يا سادة .
هشام : نعمت مساء يا رابعة .

أبو حرام : (معترضاً عليه) إنها ليست رابعة .. إنها رائعة .
رابعة : (تضحك) .
هشام : تفضلي .

أبو حرام : لا .. لا والله .. إنه مكانك في الصدر .
هشام : (ينظر فأماما على حساب زميله) بل مكانها القلب .
يا أبا حرام .

أبو حرام : (يضحك) أردت صدر المجلس يا كُفَّع . ها ها .

رابعة : (تضحك معه) .

حزة : يا عمار .

عمار (الذى كان يشاركهم فى الضحك) سيدى

أبو حرام : هات أجود أنبذة الأبله .

حزة : وتخير واذبح .

مشام : وخذ جرادنا إلى علائقها فما نطن أننا منادرو
هذه الحانة .

رابعة : (تضحك) .

حزة : (وهو يقدم لها الكأس) كأسك رابعة .

مشام : (وهو يرفع كأسه) إشرّب على وجهها .

أبو حرام : (راجعاً إلى الخلاف بينهما) بل نشرب على صوتها .

حزة : (متضاحكا) إشرّب على خدها .

عمار : (متدخلاً وهو يضحك ضحكة باهتة) اشرب على كلاً
ها ها ها .

مشام : (يزجره فى ترفع) اسكت أنت يا رجل .

عمار : (متراجعاً بسرعة وهو يقطع ضحكه) سكّت . هه .

رابعة : (تضحك) .

هشام : (يقترح حلا) نسأل رابعة :

أبو حرام : (معجباً بالفكرة) جميل .. جميل (ثم ملتفتاً إلى رابعة

أى نخب تقترحين يا رابعة ؟

رابعة : (فى دلال) تسألونى أنا ؟

أبو حرام : نعم .

رابعة : وتقبلون حكى ؟

هشام : { نعم . نعم .

رابعة : إذن فلنشرب على الناي .

أبو حرام : (ضاحكا) نشرب على الناي .

هشام : (فى طرب) أى نخب جميل .

حمزة : (وهو يرفع كاسه) فلنشرب على الناي (ثم مستدركا

بسرعة) ولكن أسمعينا يا رابعة ؟ .

رابعة : (فى دلال) كلا .

أبو حرام : (فى دهشة) كلا ؟ !

رابعة : (فى دلال) آ .

أبو حرام : كيف يا رابعة ؟

رابعة : (في دلالها) هذا شيء . . وهذا شيء .
 هشام : (يحاول إغراءها) وإذا أجزلتنا لك العطاء ؟
 رابعة : (في إلهام يشوبه دلال) أنا يا سيدي لا أبيع الغناء .
 أبو حرام : وبالرجاء ؟

رابعة : إذا كنتم تحسنون الاستماع .
 حمزة : أجل نحن الاستماع . . سكوتاً يا قوم .
 أبو حرام : إله رابعة . إنما تسمعك القلوب والأرواح .
 (الموسيقى مقدمة اللحن ^(١))

أبو حرام : (على الموسيقى) آه :

حمزة : صه .

رابعة : يا صعبة الراح : أهل الراح هل حانوا ؟
 وهل تغنت على أيامها الحان ؟
 صبا الندامى وما في الحان الحان

الجميع : آه . .

أبو حرام : واطرباه .

رابعة : في كأس عمرى بقايا من يُشاربني
 ومن يطارخني والعيش ربحان ؟

(١) الموسيقى واللحن لربان السبيل .

الجميع : آه .

هشام : ما سمعتُ كالיום لحناً أسمى .

أبو حرام : ولا نغماً أطرب ... هيه رابعة .

رابعة : ثمالةٌ من - دموع الشجر ألوانٍ

إبريقها راح يبيكى وهو فرحانُ

ثمالةٌ آه لو قاضت .. وآه إذا

غاضت .. وواهاً لها والقلبُ لمفانُ

عهدي بها وكثوسُ الصفو مترعةٌ

بهنٌ طاف على السكرى سُكيرانُ

هشام : (صائماً) آى ... بالله يا سيدتى .

أبو حرام : ماذا قلت يا روحى أنا .

رابعة : عهدي بها وكثوسُ الصفو مترعةٌ

بهنٌ طاف على السكرى سُكيرانُ

لا يشربُ الرّاح إلا أنه ثملُ

نشوانُ والكأسُ فى كفيه نشوانُ

ترى تعودُ الليالى . والهوى معنا .

يا غربة الكاسِ ماللكاسِ ندمان

هشام : (صارخاً) آه .

أبو حرام : (يقبل عليه مستكراً) ما هذا ؟ يا هذا !!

هشام : (فى غاية الطرب) أأست تسمع يا أبا حرام ؟

أبو حرام : أسمع ماذا يا منكر الصوت .

هشام : أنا منكر الصوت .. يا .. يا .. يا ..

حمزة : (يكلله) يا أخى أسكت ها ها .

رابعة : (والجميع يضحكون) .

أبو حرام : والله . والله .

حمزة : كفى يا أبا حرام .. عودُ إلى الغناء (ثم رابعة) نعم ..

نعم يا روح روى .

أبو حرام : من الأول .

هشام : ثمالة .

رابعة : (تفتى) ثمالة من دموع الشجر الوان .

هشام : (فى أثناء غنائها) آه ..

أبو حرام : أسكت .

هشام : أسكت أنت .

حمزة : أسكت أنت وهو .

هشام : (صائحا) وأنت أيضاً .

حمزة : وأنا .

الجميع : (يضحكون) .

رابعة : (التي كانت تقى .. تقطع غناها وتنفض وقد ضايقتهما مقاطعهم) .

أبو حرام : الله . ا رابعة .

حمزة : إلى أين يا رابعة .

رابعة : (في سخرية) يظهر أن السادة يجيدون الاستماع

أكثر من اللازم ... عموا مساء يا سادة .

هشام : (وهو يمسك يدها في عنف) بل انتظري رابعة .

رابعة : (مثالة) أى . يلى . . .

أبو حرام : دعها يا هشام .

هشام : وفيهم ضربنا أكباد الإبل . ١٢ الجلسى .

رابعة : (في غاية الالم) يلى .. أى يا غليظ الكبد .

هشام : (في سورة الحجر) أحب الشارد من الغزلان هاها .



مكانك أيها الخموز ..

رابعة : دعنى .. دعنى أيها الخمور .. كفى كفى .

أبو حرام : (وقد أخذته سورة الخمر) أقول لك : دعها يا هشام .

هشام : (يتحدا) وإذا لم أدعها ؟

أبو حرام : بل ستفعل وأنت راغم .

هشام : (غاضباً) أكذلك تكلمنى يا أبا حرام !؟ (ثم رابعة)

اذهى أنت .

أبو حرام : يا عريض القفا .

هشام : (يتقدم منه) يا طويل الأذنين .

أبو حرام : (وهو يستل سيفه) مكانك أيها الخمور .

هشام : (صائحاً) سيوفكم يا آل هشام .

أبو حرام : (صائحاً) سيوفكم يا آل ظالم .

(ضجة وسيوف وحركة)

عمار : (مقبلاً يجرى وهو يصيح فى وسط الضجة) يا سادة ...

يا سادة ... أغمدوا سيوفكم .

حرمة : ابتعد أنت يا رجل .

عمار : بالله لا تخربوا بيتى .. أغمدوا سيوفكم .. أغمدوا

سيوفكم .

(الأصوات تبتعد حتى تلاشى تماماً)



« وانطلقت رابعة إلى حجرها . . .
وأسرت إليها خادمها عبدة . وقد ملأها
الرب عما كان . والخوف عما سيكون .

عبدة : (داخلة تلث) ماذا فعلت يا سيدتي .. لقد انقلب
الحانة رأساً على عقب .

رابعة : (بصوت باك) عبدة

عبدة : سوف لا يفقر لك عمار ما فعلت اليوم .

رابعة : ولن أغفر لنفسي ما أفعل .. لقد ملكت هذه

الحياة يا عبدة (ثم تارة) أولئك السكارى . . .

ورائحة الخمر التي تفوح من أفواههم . . . والفجور

الذي يطل من أعينهم . لا يا عبدة . . لا . . لا . .

لن أكون شاة عند عمار .

عبدة : ولكن سيدى سوف لا . .

رابعة : (تقاطعها) لقد ضاقت نفسي بـ . .

(يفتح الباب فجأة ويدخل عمار ثائراً)

رابعة : (وقد رآه داخلاً تقطع جملتها) عمار .

عمار : (في غاية الغضب) وبعد يا رابعة ؟

رابعة : ماذا تريد يا عمار ؟

عمار : أكذا علمتك منادمة القوم يا غانية .

رابعة : لا يا عمار ... إني أختق .. أنا لا أطيق هذه الحياة
يا عمار .

عمار : (بين عليها ويذكرها) وتطيقين التشرّد في الصحراء ١٤

رابعة : (نائرة) ليتك تركتني في الصحراء ألاقى مصيراً
غير هذا المصير .

عمار : ولا يرضيك ما صرت إليه يا رابعة ١٥

رابعة : أف لك يا عمار .. وأف لهؤلاء السكارى ...

الحذاع الذي أعيش فيه .. كلا : أنا لا أطيق أن
أوددُ إلى من لا أودّ .

عمار : (في سخرية) كأنك تتألمين يا ابنة الليل ؟

رابعة : (تبكي) الليل . والظلام .

عمار : لا أدري — والله — ماذا أصاب رابعة ١١٤

رابعة : أصابني أن المخمور قد يفيق يا عمار .

عمار : (في سخرية) وأقمتِ يا رابعة ؟

رابعة : أجل يا عمار .. وسأغنى عندما أريد .. وأمسك

عن الغناء عندما أريد .. ومن الآن : إذا غنيت

فلا شراب .

- عمار : أهى ثورة يا رابعة ١٩
- رابعة : أجل . على نفسى . . . وعليك ، وعلى ظروفى
وما انتهيت إليه يا عمار .
- عمار : وَهَمْتُ رابعة . . أنت هنا ملكى ، وصنع يدي .
- رابعة : بل أنا ملك نفسى . . . وصنع ربى . ولن أرضى بهذا
السجن أبداً .
- عمار : لن نفرى من هذا القفص الذهي
- رابعة : بل سأحطمه إذا اضطررت .
- عمار : بل أنا الذى سأحطمه على رأسك يا فاجرة .
- رابعة : (صارخة) عمار .
- عمار : (وهو يخرج غاضباً) ستين . . . ستين يا رابعة .
(صوت إغلاق الباب)



كان ابن زياد قائما تداريه مكاته في قومه .. وكان
له ثلة يحسبهم الهو والشراب .. كانوا وجوها . سمعوا
برابعة ، وما انتهت إليه حانة عمار .
لا يستطيعون — لمكاتهم — أن يذهبوا إليها .
ولا يستطيعون — لمجاتهم — أن يمتنعوا عنها :

الجميع : (يضحكون) .
ابن زياد : (وهو يضحك) أعرف هذا يا ورد .. لقد سمعت
بها من أول يوم .

ورد : ولكن ليس من يرى كمن يسمع يا ابن زياد .
ابن زياد : أعرف هذا أيضا .

علقمة : إذن فما يمنعك أن نتنقل إلى حانة عمار ؟
ابن زياد : ولماذا لا تنتقل حانة عمار إلينا ؟ .
علقمة : (ضاحكا) ماذا تقول يا ابن زياد ؟
ابن زياد : ما سمعت يا علقمة .

ورد : (ضاحكا) تنتقل حانة عمار إلينا 114
ابن زياد : إذ لا يصح أن تنتقل نحن إليها .
ورد : ولكنها رابعة .

ابن زياد : وأنا ابن زياد .
علقمة : (وهو يضحك) برئتُ من الذمة إن كنت قد
فهمت شيئا .

- ابن زياد : ستمهون كل شيء .
 ورد : متى يا ابن زياد ؟
 ابن زياد : عندما ترون كل شيء (ويضحك) .
 الجميع : (يضحكون) .
 علقمة : (وهو يضحك) أنت اليوم مُقرب . . . أوامر لنا
 بالقِداح يا ابن زياد .
 ابن زياد : أتقامروتنى يا قوم ١٤
 علقمة : أأست تريد يا ابن زياد .
 ابن زياد : بلى . وأنا قيرك يا علقمة . . (ثم ينادى) يا مبروك ..
 يا مبروك ..
 مبروك : (داخلا) مولاي .
 ابن زياد : هات القِداح يا مبروك . (ثم ملتفتاً إلى علقمة)
 . دونك الحلبة يا علقمة .
 علقمة : (متضحكا) على أى شيء تقامرنى يا ابن زياد .
 ابن زياد : على حانة عمار .
 علقمة : على حانة عمار . هاها .
 الجميع : (يضحكون) .

عالیٰ طریق

مبروك : (مقربا من الحانة) هذه حانة عمار يا مالك .
مالك : (وهو يهده من سرعة جواده) وهذه علاماتها ضجيج
وصخب .

مبروك : وهذا عمار على بابها .
الخادم : (يتقدم منهما) سيدي .
مالك : خذ جيادنا يا قتي .
عمار : (مقبلا عليهما) يا مرجبا .. يا مرجبا .
مبروك : كيف حالك اليوم يا عمار ؟
عمار : حال لا تسر والله الحمد على أى حال .
مالك : (ضاحكا) الناس يكادون يطيطون من الطرب وأنت
وحدك على بابها حزين .
عمار : ذلك شأنى معها ياسيدي .
مبروك : كيف يا عمار ؟
عمار : وماذا تريد من رجل كثرت حرفاؤه .. وقل غناؤه ؟
مبروك : (ضاحكا) إذا كثرت الحرفاء قَلَّ الأرباح !!
مالك : (وهو يضحك) منطق عمار .

عمار :.. هيه .. الشكوى لغير الله مذلة .. تفضلا .. تفضلا .

(يفتح باب الحانة ويخرج أبو حرام غاضبا)

حزمة : (خارج وراءه يصيح به) انتظر أبا حرام .. أبا حرام .

عمار : ما هذا ؟

أبو حرام : لا والله لن أغشى هذه الحانة بعد اليوم .

عمار : الله ! أبا حرام .. انتظر .. سيدي .

أبو حرام : دعني يا عمار ..

عمار : ماذا جرى ؟

أبو حرام : (في غاية الغضب) أرسل إليها فرفض أن تنزل إليّ

عمار : هَوِّنْ عليك يا سيدي .

أبو حرام : وقائي أن تشرب معي .. أنا .. ؟

عمار : مصيبتى فيها أنها لا تشرب ولا تقنى على الشراب .

أبو حرام : (ساخراً منه) نعم ؟ منذ متى كان ذلك يا عمار ؟

عمار : منذ شهور ... أتذكر يوم معركة الحانة يا سيدي ؟

أبو حرام : ولكنها كانت تفعل .

عمار : كان ذلك في أول عهدنا بهذه الحالة . أما اليوم
وقد جعلت منها شيئاً آخر فقد أصبحت شيئاً آخر .

ابو حرام : بل أنت الذي أصبحت شيئاً آخر .. (وهو يترك
وينطلق) حرامٌ على حاتك بعد اليوم يا عمار .

عمار : انتظر أبا حرام .. سيدي .. سيدي .. (ثم لنفسه)
تعباً لك يا رابعة .

مبروك : (ضاحكاً) يظهر أن ورقاءك أصبحت صقراً
يا عمار . هاها .

عمار : (مقبلاً عليه) رأيت يا سيدي . أسمعت يا سيدي ..
مالك : (وهو يضحك ساخراً) مسكين يا عمار هاها .

عمار : كان نحساً ذلك اليوم الذي لقيت فيه رابعة .

مبروك : (داخلاً في الموضوع) نربحك منها يا عمار .

عمار : ليتك تفعل يا سيدي .. إني ضقت - والله - بأحوالها .

هذا الحزن الذي لا أدرى له سبباً ؟

ودموعها التي لا أجد لها تفسيراً ؟

وامتناعها عن الشراب .

إنها تضعك وقلبها يبكي ولا أدري لماذا كل هذا

مبروك : خلاص . نشترها .

عمار : (يظن أنهم غير جادين) أبوسُ رجلك .

مالك : وتبيعها ؟

عمار : بتراب الفلوس .

مبروك : كم أملت فيها يا رجل

عمار : (يظن أنهم غير جادين) خذوها بتراب الفلوس ..

أريحوني منها .. لقد — والله — ضقت بها .

مالك : (وقد صدق لهجة عمار يهمن لإميله) يظهر أن مهمتنا

أيسرُ مما كنا نتصور .

عمار : أنا في خدمتك .. تفضلا .

مبروك : (يخرج الصرة ويرى بها إليه) خذ .. خذ يا عمار .

عمار : (الذي وجد أن الأمر جد) أه ؟ ؟

مبروك : ماذا ؟

عمار : ماذا أنت يا سيدى ؟

مالك : هذا ثمن رابعة .

عمار : رابعة !

مبروك : إنه ليس تراب الفلوس .. إنه ذهب عَيْنُ

وَأَزِنُ يا عمار .

عمار : كأنكم تشترونها حقيقة ؟ !

مبروك : (ضاحكا) وكنت تظن أننا نشتريها مجازاً ؟

عمار : ولكنى .. أنا .. أنا لا أبيعها .

مالك : ألسنت تشكو منها ؟

عمار : كنتُ أهزل يا سيدنى (ثم وهو يضحك ضحكة باهتة)

أتصدقون عماراً .. أنا كذوب هاهاها .

مالك : ولكنك ستبيعها .

مبروك : بل باعها بالفعل وقبض ثمنها .

عمار : لا . لا .. لئن أبيع أولادى ولا أبيعها .

مبروك : ولكنك بيعتها يا عمار .

عمار : لن ترغمني على ذلك (يحاول رد الصرة إليه) خذ صرتك هذه ياسيدى .

مالك : أنت وام يا عمار .. إنه لا يشتريها لنفسه .

عمار : ولو .

مالك : أتعرف لمن يشتريها ؟

عمار : أيا كان .. لن أبيعها (ثم بلهجة التهويل) أبيع

رابعة ١١ كيف ياسيدى ؟

مالك : (متضحكا) أنت لا تعرف شيئا يا عمار .. إنه

يشتريها لمولاه .

عمار : ولو ..

مالك : أتعرف من مولاه ؟

عمار : لن أبيعها .. لن أبيعها .

مبروك : أجب على سؤاله يا عمار .

عمار : (فى غير اكترات) ومن يكون مولاه ؟

مالك : إنه ابن زياد

عمار : (منهاراً) أه .. ؟ من .. اي .. ابن زياد . (ثم صائحا)
راحت رابعة .. وضعت يا عمار .

مبروك : (وهو يضحك) ومع هذا فسيعوضك سيدي عن
ورقاتك الذهبية كثيرا يا عمار .. هيا بنا يا مالك .

مالك : أمامنا يا عمار .

(أصوات الحانة تقترب وهم يتجهون إليها)

صوت : (صائحا في وسط الضجة) أين عمار .. يا عمار .

صوت : التيز يا غلام .

صوت : (يعلو على الضجة) يا سادة .. يا سادة .. من كان

أمامه كأس فليقتنه منها .. ومن كان أمامه شراب
فليرفعه .. إنها رابعة .

(تنقطع الضجة وتبدأ موسيقى العن)

عمار : (هامسا في حزن) انظر يا سيدي .. هكذا أدب

الغناء .. صمت .. ولا شراب



هكذا أدب الغناء... صمغ... ولا شراب

الكورس : حانةُ الأقدار :

عَرَبَتْ فِيهَا * لِيَالِهَا
وَدَارَ النُّورِ
وَالهُوى صَاحِي

هذه الأزهار :

كَيْفَ تَسْقِيهَا * وَسَاقِيهَا
بِهَا تَحْمُورُ
كَيْفَ يَا صَاح ؟

رابعة : سَأَلْتُ عَنْ الْحُبِّ أَهْلَ الْهُوى

سُقَاةَ الدِّمُوعِ نَدَامَى الْجَوَى

قَالُوا : خَانَكَ مِنْ شَجْوِهِ

وَمِنْ جَدِّهِ بِكَ أَوْ لَهْوِهِ

وَمِنْ كَدَرِ اللَّيْلِ أَوْ صَفْوِهِ

سَلَى الطَّيْرَ إِنْ شَتَّتَ عَنْ شَدْوِهِ

ففي شَدْوِهِ لَمَّسَتْهُ الهوى
وَبَرَّحَ الحنينُ ، وشرَّحَ الجوى

الكورس : أَيْكَةُ الاطيار :

في أغانيها * لشاديها .

على الأغصان

سَوْرَةُ الرّاج

يا غريبَ الدار :

ملِّ بنا فيها * تُساجيها

مع الثُّدَمَانِ

واتركِ البلاحي

رابعة : وورحتُ إلى العليِّ أشكو الهوى

وَأَسْأَلُهُ سِرَّ ذاك الجوى

قال : حَنَانِكَ مِنْ جَنْبِهِ

وَمِنْ صَخْرِ سَاقِيهِ أَوْ سَكْرِهِ

وَمَنْ نَهَيْهِ فَيْكَ أَوْ أَمْرِهِ

سَلَى اللَّيْلَ إِنْ شَتَّ عَنْ سِرِّهِ

فَفِي اللَّيْلِ يُنْعَثُ أَهْلُ الْهَوَى

وَفِي اللَّيْلِ يَكْنُ سِرُّ الْجَوَى

الكورس : دَوَّحَةُ الْأَسْرَارِ :

يَا لَيْلِيهَا * بَوَادِيهَا

هَنَا يَلْقَاكَ

صَبْحُ أَفْرَاحِي

دَائِرَةُ دَوَّارِ :

فِي دِيَاجِيهَا * يَسَاقِيهَا

عَلَى ذِكْرَاكَ

بَيْنَ أَقْدَاحِي

رَابِعَةٌ : وَلَمَّا طَوَانِي الدُّجَى وَالْجَوَى

لَقِيتُ الْهَوَى .. وَعَرَفْتُ الْهَوَى

فِي حَانَةِ اللَّيْلِ نَخَّارُهُ
 وَتِلْكَ الشُّجَيَاتُ سَمَّارُهُ
 وَتَحْتَ خِيَامِ الدَّجَى نَارُهُ
 وَهَمْسُ النِّسَائِمِ أَسْرَارُهُ
 فِي كُلِّ شَيْءٍ يَلُوحُ الْهُوَى
 وَلَكِنْ لِمَنْ ذَاقَ طَعْمَ الْهُوَى

ان

وكان صباح ...

فقد أرق عمار ، ولم يمه ليته ، وتردد في الذهاب

إلى رابعة ليفضي إليها بما كان ...

عمار : (مقبلا على الخادم وهو يتأمل الحانة) ما هذا ؟ ما هذا
أيها النادل ؟

الخادم : سيدي ...

عمار : هذه الآواني .. وتلك الحواشي ، والحانة كلها كما
كانت بالأمس .

الخادم : إتي أعمل ياسيدي منذال ...

عمار : (يقاطعه في حدة) أنت تعمل ! بنج بنج .. إنك
لا تحسن إلا أن تأكل يا أبحر .. ومع هذا فسوف
أريك كيف تعمل ..

الخادم : فهمت ياسيدي .

عمار : إرفع هذه .

الخادم : أرفعها ياسيدي .

عمار : واضرب هذه الحواشي .

- الخدم : أفعلُ يا سيدي .
- عمار : (غاضباً) ما بالك جامداً لا تتحرك .. أهو الفعل
- كلامٌ يا بليد . (ثم وهو يحسبه من أذنه) الناس
- يقدمون علينا من أجل رابعة .. ولا أريد أن
- أقدم إذا قدموها .. أقام أنت ؟
- الخدم . (مثلاً) آه . أذن .. أذن .
- عمار : (يدفعه) إنطلق إلى عملك أيها الغبي .. إنطلق ..
- (ثم يمشي وهو ينتمن) حسبي الله ونعم الوكيل ..
- حسبي الله ونعم الوكيل .. هه .. هه .
- (وتقع عينه على عبدة وهي مقبلة من ناحية غرفة رابعة)
- عمار : (يستوقفها) عبدة .
- عبدة : سيدي ! عم صباحاً يا سيدي .
- عمار : أين مولاتك يا عبدة ؟
- عبدة : إنها في حجرتها .
- عمار : ألم تصبح من نومها بعد ؟ لقد اتصفى النهار أويكاد .
- عبدة : بل قامت منذ ساعة . وخلت إلى أحزانها .. وذلك
- شأنها في هذه الأيام .

- عمار : خلاص .. اتت .. ستريح وتستريح .
- عبدة : (تحاول الرجوع) هل تريد شيئاً يا سيدى .
- عمار : (يمتعها) بل انتظري أنت .. أنا ذاهب إليها بنفسى
(صوت أقدام .. ثم طرق خفيف على الباب .. والباب يفتح)
(ويدخل عمار)
- عمار : (حزينا) رابعة .. رابعة .
- رابعة :
- عمار : (فى ألم) ألا تردين علىّ يا رابعة ؟
- رابعة : (فى غضب) م . ماذا تريد يا عمار ؟
- عمار : (فى ألم) أريد أن أقول : إتنى مضطر إلى بيعك
يا رابعة .
- رابعة : وأىّ جديد فى هذا ؟ إنك تبيعنى كل ليلة يا عمار .
- عمار : (منهاراً) ولكنها النهاية يا رابعة .
- رابعة : (بصوت عتق) حقاً ؟ متى يا عمار ؟ متى أخرج من
هذا السجن البغيض ؟
- عمار : (منهاراً) وتسمينه سجيناً ؟
- رابعة : وأىّ سجين يا عمار .

- عمار : (في أسف) إتنى أبيعك مكرهاً بارابعة .
- رابعة : ومتى ملكتنى حتى تبيعنى يا عمار ؟
- عمار : (بصوت مختنق) إتنى لا أملك نفسى يا ابنتى .
- رابعة : (غاضبة) الآن صرتُ ابنتك ؟ !
- عمار : ألم أتشكك من الفقر والجوع ؟
- رابعة : (في ألم وسخرية) لتقدمنى طامأماً لـ لكلّ نهمٍ أكل :
عمار : بل جعلتُ منك وردةً تعطر بأريجها نساءُ الأبله .
- رابعة : (نائرة) ألا فاعلم يا عمار أن الوردة لها مكان آخر
غير هذا التراب الذى مرّغتنى فيه .
- عمار : على أى حال . لقد خرج الأمر من يدي .. أ:
مغلوبٌ على أمرى يا رابعة .
- لأنه مولى من آل زياد سمع بك فأرسل فى شرائك
ولا قبلَ لي برّدهِ ولست أدري ما ..
- رابعة : (قاطعه) لأن يكون لى مولى واحد خيرٌ من أن
أكون مولاةً كلّ عريدٍ مخمور .
- عمار : أنت قاسية فى حكمك على ..
- رابعة : أكنت تحسب أنى راضية بما أنا فيه يا عمار ؟

- عمار : ولكنى كنت أكرمك .
 رابعة : كما يكرم الجزار الشاة .
 عمار : إنك لا تفهمين شيئاً يا رابعة .
 رابعة : ليتنى كنت كما تقول .. ليتنى كنت لا أفهم يا عمار ..
 إنه قضاء جرى؛ وأيام أرجو ألا تعود .
 عمار : ولكنك ستذكرين هذه الأيام .
 رابعة : (فى ألم ومرارة) نعم . سأذكرها كثيراً .
 عمار : وتندمين عليها .
 رابعة : (من قلبها) كل الندم .
 عمار : إنك تحورين الكلام فما لهذا أردت .
 رابعة : ولكنى أريد .
 عمار : لك ما تريد .. ولكن اذكرى وأنت فى بيت
 ابن زياد . أتنى أنا الذى رفعتك إليه ... لولاي
 ما غيت ، ولولا غناؤك ما اشتهرت .. ولولا شهرتك
 (ثم قطع جلته وقدر آما تقوم وتركة) رابعة . ، رابعة
 رابعة ..

(رابعة تغلق الباب وراءها بتنف)

مجا

مبروك : (وهو يقودها إلى بيت سيدهما الجديد) من هنا .

(يفتح الباب)

هذه هي حجرتك يا رابعة .. ألسنت ترينها جميلة ؟

رابعة : (في غاية الفرح) أجل منها يا مبروك أتيتي تركت حانة
عمار .. وتركتُ الليل والهوى .

مبروك : (ضاحكاً) وستكونين سعيدة في بيت مولاي
الجديد . . .

رابعة : كل السعادة . : (ثم وقد رآته ينصرف) إلى أين
يا مبروك .

مبروك : انتظري رابعة .. لن أغيب كثيراً . سأحضر
ما أعده لك مولاي وهو شيء كثير .

(وينطق الباب وراءه)

رابعة : (وقد خلت بنفسها) بُعْداً لك يا حانة عمار .

مرحبا بالحياة النظيفة في بيت سيدى .

اليوم لاخر ولا سكارى .. لاخر ولا سكارى .

(ثم بصوت يرتعش) إلهى .. كما قدّرتَ لى أن أخرج

من ذل المعصية ... فيسرّ لى أن أدخل فى عزّ

الطاعة .. يا تواب ..

يا تواب ..

يا تواب ..

فِيهِ

ابن زياد : (صاعًا) يا غلام .. الكاس والعاس .

مام : (متضاحكا) والله لو أنك جئتنا برابعة التي هي
رابعة ما تناولت هكذا يا ابن زياد .

ابن زياد : (يفاجئهم) وإذا كانت ؟

علقة : (في دهشة) رابعة ١١

ابن زياد : (يضحك ضحكة فيها معنى الانتصار) .

ورد : (في إعجاب) واشتريتها يا ابن زياد ؟

ابن زياد : كان لأبد من ذلك يا ورد .. لا يجمل بالمشيخة

من آل زياد أن يذهبوا إلى حانة عمار .

عقبة : إذن سنسمع يا ابن زياد .

ابن زياد : ونشرب يا عقبة .

مام : يا لك يا ابن زياد .

ورد : أجل ما كان لنا أن نتقل إلى حانة عمار .

ابن زياد : بل تنتقل حانة عمار إلينا .

عقبة : (ضاحكا) ومثلك من يفعلها يا ابن زياد .

ابن زياد : (في غايَةِ النشوة) إنها اليوم هنا .. كأسك يا علقمة .
 علقمة : كأسك يا ابن زياد .

(يفتح الباب)

مبروك : (معلناً) رابعة .

ابن زياد : تعالى رابعة .. أقدمي .

رابعة : (داخلة) سيِّء .. (ثم تقطع جلستها وتثني في فزع وقد
 فوجئت بمجلس الشراب) هيه .. وى .

ابن زياد : (وأصحابه يشاركونه في الضحك من حركة خوفها) إجلسي
 .. إجلسي رابعة .

رابعة : (خاتمة) ولكني ... لا أجد مكاناً يا سيدي .

الجميع : (يضحكون في طرب وسرور) .

ابن زياد : أسمع يا ورد .

ورد : إجلسي رابعة .

رابعة : (بلهجة من فجع في جميع آماله) سيدي .

ابن زياد : (الذي فهم أنها تتخرج من نادمتهم أمامه) لا . لا عليك

رابعة .. (ثم وهو يقدمهم لما) أولئك صبي، والكأس
بيننا حرمة ، وذمام .

ورد : (وهو يقدم لما الكأس) كأسك يا رابعة .

رابعة : (حزينة) وهل بقي في الكأس شراب ؟

ابن زياد : (متضحكا) خذها يا رابعة .

رابعة : (متنعة) سيدي .

ابن زياد : (آسراً) خذها من يده .

رابعة : وخمرٌ يا سيدي ١٤ لقد كنتُ في حانة عمار أغنى

: ولا شراب .

همام : (في سخرية) ما هذا يا ابن زياد .

ورد : دعوها يا قوم .. بالله لا تُكْرِهُوها على

مالا تريد .

علقمة : إذن . فهو الغناء .

ابن زياد : (غاضباً) بل الغناء والشراب ... رابعةُ كما تريد .

ولسنا كما تريد رابعة .

رابعة : (في حزن) ليتني كنت أستطيع يا سيدي .

ابن زياد : (في غضب) ومن يستطيع غيرك يا ابنة الليل والهوى ؟

رابعة : (في أنف وحزن) كنتُ يا مولاي .

همام : (مقهقها) كانت . هاما .

ابن زياد : وماذا جرى ؟

رابعة : جرى أتى تليستُ في بيتك أمناً لروحي .

علقمة : وهل أنتِ خائفة ؟

رابعة : كل الخوف .

ابن زياد : ممَّ يا رابعة ؟

رابعة : من نفسي يا مولاي .

همام : (في ضيق) حديثٌ سوف لا ينتهى .

ابن زياد : أى رابعة . لقد أطلتِ .. وما أظن أنك مفسدةٌ

علينا ليلتنا (ثم بلهجة الأمر) الكأسَ أولاً .

رابعة : هيهات يا سيدى هيهات .

ابن زياد : (في دهشة) ماذا ؟

علقمة : (ضاحكا) امتاعٌ هذا أم تمنع ؟

ابن زياد : (في غلظة) رابعة . أقولُ لكِ اشربي .. أقولُ لكِ
عني .. هل سمعتِ ؟

رابعة : (بصوت يتهدج) كان ذلك ونحن على ضفاف الآلة .

ابن زياد : (في غيظ مكثوم) واليوم ؟

رابعة : اليوم نحن على ضفاف الأبد .

همام : (يغمرها) كذا أيتها الناسكة الحصان .

رابعة : (في ألم وهم يضحكون) سيدي .

ابن زياد : (نائراً) هلك تنزهه عن الشرب والغناء 11

رابعة : (متألّة) وى .

ورد : (متدخلًا) يا قوم .. يا قوم .

ابن زياد : (مواصلاً كلامه) لهذا دفعتُ خمسمائة دينار .

رابعة : (بصوت يرتعش) اغفر لي يا سيدي أنت لا تعرف

قلوب الغواني .. نحن نحسنُ إلى الحياة الشريفة

حتى ونحن تتمرغ في الأوحال ... لقد حسبت

أنتي صالحت ربي حين طواني ببيتك وتركت

حانة عمار .



نحن نَحْنُ إلى الحياة الشريفة .. حتى ونحن نتمتع في الأحوال

ابن زياد : بل تريدن أن ترجعي إلى السكاري هناك .

رابعة : (في مرارة) وهل بعدت عن السكاري في يد ..

ابن زياد : (يقطعها غاضباً وهو يصفعها) صه .

رابعة : (بصوت محقق) و .. وتصفعني يا سيدي !!

ورد : (متألماً لها) ما ضرَّ لو شاركتنا يا رابعة .

رابعة : (وهي تبكي) يا أسفاً على ما فات .

همام : ألهذه المناحة دعوتنا يا ابن زياد ؟

ابن زياد : أيتها الدمية اللعوب .

رابعة : إن شرابي اليوم دموع ، وغنائى نحيب .

ابن زياد : أهكذا تحكين على نفسك .

رابعة : بل حكمت على نفسي .

ابن زياد : إذن فقد اخترت جزاءك .. (ثم صانحاً)

يا مبروك .. يا مبروك .

ورد : أأناتك يا ابن زياد .

مبروك : (داخلاً) مولاي .

ابن زياد : أين سوطك يا مبروك .

مبروك : في خدمة مولاي .

ابن زياد : أريك أن تروض هذه القطة .

ورد : رفقاً بالقوارير يا ابن زياد .

ابن زياد : (مواصلاً) عليك بها يا مبروك .

مبروك : أمرك يا سيدي . . تعالى . .

رابعة : (تبكي وهي غارجة مع مبروك) .

ابن زياد : (يمشيها) سأعلك طاعة السادة يا هلوك .



رابعة : (تبكى فى عجبها) إلهى .. سيدى ..

أنا فى طريقى إليك .. أخوض بحار الندم .

فهل أصلُ إليك يا سيدى ؟

وإذا وصلت .. فهل تقبلنى ؟

(ثم بصوت يتهدج) واغوثاه .. كم من شهوة

ذهبتْ لذتها ، وبقيت تبعتها (وتبكي) :

(الباب يفتح ومبروك يدخل عليها ويده السوط

مبروك : (فى غلظة) هيه .

رابعة : مبروك .

مبروك : (فى غلظة) ألا تزالين تبكين يا رابعة ؟

رابعة : وهل أملك غيرَ الدموع يا مبروك ؟

مبروك : ألا تطيعين سيدك يا رابعة ؟

رابعة : (فى مرارة) ظننتُ أتى انتهيتُ من حانةِ عمار

فإذا بليت سيدى حانةً أخرى .

مبروك : (فى غضب) أقول : هل تطيعين سيدك يا رابعة ؟

رابعة : (بصوت عتق) أشرب .. و .. أغنى ١٤



إن لی میدآ واحدآ .. ولن أغنی لبواه

مبروك : وما يمنعك أن تفعل ؟

رابعة : (في إصرار) أما الشراب فقد علمت ألا سبيل إليه . . وأما الغناء فلن أغنى لمخلوق بعد اليوم .

مبروك : وسيدك ؟

رابعة : إن لي سيداً واحداً ولن أغنى لسواه . .

مبروك : (في ثورة) أنتِ عبيدة ، وأنا أشد منك عناداً .
وسيدى أشد مني ومنك . . وسوف أنصب عليك بالسوط هكذا (وهو يشقها بسوطه) .

رابعة : (في ألم مكتوم) أى .

مبروك : (وهو يضربها) كل يوم . . هـ .

رابعة : (تكتم آلامها) أى .

مبروك : (وهو يضربها) هكذا .

رابعة : آه . .

مبروك : (في عنف وقسوة) هكذا . . هكذا . . هكذا .

رابعة : (في صراخ مكتوم) آه . . أى . . آ .

(وصوتها يمتد حتى يتلاشى)

وہ جس نے ذائقہ لیلیٰ

رابعة : (على النأى منفردة فى مناجاتها)

يا حبيبي :

سجا الليل . . ونامت العيون .

ونسكنت الوحوشُ فى القفلة . . ومجعت الطيور

فى الأشجار ، وهدأت الأسماك فى البحار . . وأنت

وحدك لا تنام . . فكيف أنام يا حبيبي .

حبيبي :

يقولون لى غنى . . . لن أغنى لسواك .

يعذبونى . . . لا أحس غيرَ هواك .

(ثم نقتى)

غريبٌ على بابِ الرِّجاءِ طريقُ

يتاديكَ موصولَ الجوى وينوحُ

يهونُ عذابُ الجسمِ ، والروحُ سالمٌ

فكيف وروحُ المستهامِ جروحُ

وأهواك لكنى أخاف .. وأستجى
 إذا قلت : قلبى فى هواك جريحُ
 طريقِ إليك الوجد ، والسهد ، والضنا
 ودمعُ أدارى فى الهوى ويوح
 وليس الذى يشكو الصباة عاشقاً
 وما كلُّ باكٍ فى الغرام قريح

يقولون لى : غنى .. وبالقلب لوعة
 أغنى بها فى خلوتى وأنوحُ
 ولى فى طريق الشوق والليل هائمُ
 معالمُ تخفى تارة وتلوح
 ولى فى مقام الوجد حالٌ ونشوة
 دموعى غبوقٌ عندهما وصباحُ

بكيت من الهجران لا من عذابه

وداعى الهوى بالوالهين يصبح

بسر الهوى يغدو وفيه يروج

غريب على باب الرجاء طريق

(ولجأة يفتح الباب ويدخل مبروك وهو يركب)

مبروك : (وهو داخل بصوت متهدج) رابعة .

رابعة : (وقد فوجئت به داخل في هذه الساعة من الليل) هيه .

مبروك : (بصوت عتق) رابعة .

رابعة : مبروك .

مبروك : لا . لا تخافي رابعة . . لن أعذبك بعد اليوم . .

ماذا كنت تقولين برحمتك الله .

رابعة : (بصوت متهدج) أسمعته حديثي إلى سيدي ؟

مبروك : سمعت يا رابعة . . ورأيت أيضا .

رابعة : واحزن قلباه .

مبروك : قومي رابعة . قومي أسمعك على الفرار من

عذاب مولاك .

رابعه : (وهى تبكى) وكيف أفرُّ من عذاب نفسى يا مبروك ؟
مبروك : لا . . لا تبكى رابعه (وهو يرى بالسوط) هذا هو
السوط . . لن أمسك بسوء بعد اليوم وليذهب
سيدى إلى الجحيم .

ابن زياد : (داخلا) ولكنه ذهب إلى الجنة .

مبروك : (الذى فوجئ بسيده) سي . . سي . . سيدي .

ابن زياد : لا بأس عليك يا مبروك . لقد سمعتُ كما سمعت .

مبروك : و . . ورأيت ياسيدي . . . القنديل .

ابن زياد : انهض مبروك إني أعفو عنك . (ثم ملتفتاً إلى رابعه)

أما أنتِ يا رابعه فلست أدري كيف أكفر عن

إساءتى إليك .

تعالى يا ابنتى . . . خذ بيدها يا مبروك .

طريق السالكين

أصدقا : (يضحكون) .

ابن زياد : (يراجعهم وهم يقاطعونه) لا لا . أقسم لكم .

مام : (وفي صوته لون الضحك) اسمع يا ابن زياد . . إنك

هنا في خماره الهوى لا تدري بما يقال .

ابن زياد : أريد أن

ورد : (يقاطعه ضاحكا) ومتى كان للمحبين إرادة .

ابن زياد : صدقوني أتى لم . .

علقمه : (يقاطعه) وما يمنعك أن نرى ؟

ابن زياد : (ينزل على إرادتهم) وهو كذلك . . سترون بأعينكم

(ثم يصفق وهو ينادى) يا مبروك . . مبروك .

مبروك : سيدى .

ابن زياد : رابعه يا مبروك .

مبروك : سيدتى رابعه .

مام : (ويتفجر ضاحكا) سيدته هاها .

علقمه : لعلك قد جعلتَ منها سيدة يبتك يا ابن زياد .



وانظرت من خصاص الباب فإراعتي إلا قنديل يتحرك ...

الجميع : (يضحكون) .

ابن زياد : يا قوم . . يا قوم . . أشهد الله أني ما تأدبت كما
أدبتني هذه السيدة .

(ثم يدق في حديثه) قَتُّ لَيْلَةٍ أَحْسَسُ أَمْرَهَا
فَسَمِعْتُ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ تَدْعُو دَعَاءَ انْفِطَرَّ لَهُ قَلْبِي .
ثُمَّ سَمِعْتُهَا تَقِي غَنَاءَ كَأَنَّهُ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ .
وَنَظَرْتُ مِنْ خِصَاصِ الْبَابِ فَمَا رَأَيْتُ إِلَّا قَنْدِيلًا
يَتَحَرَّكُ فَوْقَ رَأْسِهَا وَهُوَ غَيْرُ مَعْلُوقٍ بِشَيْءٍ .

ورد : سبحان الله ١١

علقته : (في شك من ذلك) أو كذا خيل إليك يا ابن زياد .
ابن زياد : بلى كذا سمعت ، وكذا رأيت . وإذا كذبتني أذني
فلن تكذبني عيني أبداً .

(الباب يفتح ورابعه داخلة)

ورد : رابعه .

رابعه : (متجهة إلى ابن زياد) ليك يا مولاه .

ابن زياد : تعالى يا ابتى .

علقة : وتذهب فى تدليلها إلى هذا الحد ؟

مام : فكيف شربك معها ؟

رابعه : ومن لى بأدب الشراب . وشهوده غياب .

وحلاوته عذاب . وبساط الندامى تراب .

ورد : ترتيل هذا أم غناء ؟

رابعه : (مسترة) وقد شرب الشاربون فخابوا عن الوجود ،

وقفوا فى حقيقة الموجود .

ابن زياد : أى رابعه . . أيتها الأخت الطيبة .

لقد ندمت على سوء معاملتى لك طوال هذه الشهور .

رابعه : ذلك بلاء شغلنا عنه الصبر عليه .

ابن زياد : سؤالاً واحداً يا رابعه .

رابعه : سل ما شئت يا سيدى .

ابن زياد : ماذا كنتِ تقولين يا رابعه ؟

رابعه : يا إلهى .



أنت حرة لوجه الله ..

ابن زياد : غنا سمعته نغيل إلى أنى أرتفع إلى السماء .

رابعه : ذلك حديث بينى وبين سيدى . وليس للعبد أن يتحدث بحديث سادته . . . فكيف بالسيد الأكبر .

ابن زياد : (يمثل بشعرها) غريب على باب الرجاء طريق .

رابعه : (تصرخ باكية) واغوثاه .

ابن زياد : انهضى رابعه . . انهضى يا ابنتى . . إني أهبك نفسك . . أنت حرة لوجه الله . . فإن شئت .

بقيت في بيتى لا لخدمينا نحن ، ولكن لخدمك

أنت — وإن شئت رحلت .

رابعه : (من خلال دموعها) بل أفضل الثانية :

ابن زياد : ترجمين عنا ؟

رابعه : نعم .

ابن زياد : ولكن إلى أين يا ابنتى ؟

رابعه : إليه . . إليه هو . وليس إلى سواء .

(ثم فى ضراعة وصوتها يتعد) سيدى . . سيدى خذ

نيدى . . أنا فى طريقك إليك .

أنا فى طريقك إليك .



- عمار : والله مني جانبٌ لا أضيعهُ
 والله مني والخلاعة جانبٌ
 تلك هي البصرة منذ أنشأها عتبة بن غزوان :.. لهوٌ
 بجانبه جد .. وعيثٌ إلى جواره زهد .
- حسان : (ضاحكا) وأنت تشرب من الوردين يا عمار .
- عمار : وأنا في هذه السن يا ابن أخي ؟
- حسان : (غير مقتنع) أم .
- عمار : كان ذلك قبل أن أصل إلى رابعه .
- خالد : ووصلت يا عمار .
- عمار : إنها صلة قديمة .. ترجع إلى أول عهدٍها بالطريق .
- منذ خرجت من حاتي .. ثم منذ خرجت من بيت .
- ابن زياد . وقطعت آخر صلاتها بدنيا الناس .
- خالد : ولكنها تقابلهم .
- عمار : قلت إنها قطعت صلاتها بدنيا الناس . ولم أقل إنها
 قطعت صلاتها بالناس .
- حسان : فلماذا ترفض هداياهم ؟

عمار : بل رفضت ما هو أكثر . إنها رفضت محمد بن
سليمان الهاشمي !!

خالد : هذا عجيب !

عمار : وأى عجب يا ابن أخي ؟

حسان : (في دهشة) ترفض الزواج من محمد بن سليمان
الهاشمي !!

عمار : (يريده دهشة) وأنت تعرف غلة ملكه ؟

حسان : يقال إنها ثمانية آلاف درهم .

عمار : في كل طلعة صباح .

خالد : ومع هذا ترفض الزواج منه ؟

عمار : إنك تنظر إليها بعينك التي تنظر بها إلى الناس .
إنها طراز آخر يا بني .

خالد : وحاجتها من الدنيا !

عمار : قليلة . . إنها لا تزود إلا إلى الله .

خالد : ولكن . . ألا تأكل ؟ ألا تشرب ؟ كيف تعيش
يا سيدي ؟ ومن أين ؟

- عمار : إنها تأكل السهد وتشرب الدموع .
- خالد : تأكل السهد وتشرب الدموع ؟
- عمار : هذا مقام لا تفهمه أنت يا بنى : . إني — والله — أشعر
في حضرتها بريح الجنة .
- خالد : (فى إعجاب) وغشيت مجلسها يا سيدى .
- عمار : (ضاحكا) مجلسها .. وتسميه مجلسا يا بنى : صومعة
ليس بها غير إبريق ، ومنامة هى محرابها ، ومشجب
قصب علفت عليه أكفانها ، وعليه نايها القديم .
ذلك هو مجلسها . ومع ذلك فهو قبلة القلوب ، وندوة
أهل الله .
- خالد : يا إلهى . وددت لو أخذتني معك إليها ذات يوم .
- عمار : أسألُ فى ذلك .
- خالد : ويحتاج الأمر إلى سؤال ؟
- عمار : (غاضبا) مه يا ابن أخى .. تريد أن تسلك الطريق من
نهايته .. الطريق مراتب يا بنى .
- صالح : (مقبلا عليهم) السلام عليكم .

حسان : (هامساً) هذا صالح بن عبد الجليل . (ثم يرد السلام)
وهما يردان معه) وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته .

صالح : (وقد لاحظ غضب عمار) ماذا بكم ؟

عمار : لأشياء . كنا نتذاكر أخبار رابعه .

صالح : حديث رابعه . يملأ البصرة ويملا كل مكان . ولكن :
إذا أردتم أخبارها فقلّكم بآبن دينار

عمار : ابن دينار ؟

صالح : إنه يدون أخبار رابعه . يملأها على تليذه آبن الحسن
في جامع البصرة . .

خالد : (ينهض) السلام عليكم .

حسان : إلى أين يا خالد ؟

خالد : إلى جامع البصرة .

(جو المسجد . وأصوات تختم الصلاة . وهممة بتساويح خيفة)

ابن دينار : (في المسجد يلى على تليذه أبى الحسن) وتعاقبت الأيام .

أبو الحسن : (وهو يكتب وراءه) تعاقبت ال ... ايد ... ام .

ابن دينار : (مستمراً بلهجة الإملاء) ومرت السنون والأعوام .

أبو الحسن . (وهو يكتب) ال ... أعوام .

ابن دينار : (مستمراً بلهجة الإملاء) وخطعت ثوب الشباب .

وخاضت بحار الندم .. وسلكت طريق الواصلين ..

حتى صارت ما هى عليه الآن يا قى .

أبو الحسن : (وهو يكتب وراءه) ما هى .. عليه .. الآن .

ابن دينار : اكتب يا قى (ثم بلهجة الإملاء) ودخل عليها لص .

ذات ليلة وهى ساجدة .

أبو الحسن : وهى .. ساجدة .

ابن دينار : (مستمراً) فلم يتينها اللص فى الظلام . ولم تحس هى

به ولما لم يجد اللص شيئاً يسرقه تم بالخروج .

وفى هذه اللحظة انتهت رايه من ضلالتها ..

ورفعت بالسلام صوتها .

...



ودخل عليها لص ذات ليلة ..

رابعه : (نختم صلاتها) السلامُ عليكم ورحمة الله . السلام عليكم ورحمة الله .

الحس : (في غاية الرعب وقد فوجئ بها) إه ييسم بسم الله الرحمن الرحيم .

رابعه : (في لطف وسماحة) لا . لا تخف يا أخى .

الحس : . . . من أنت ؟

رابعه : السلامُ عليك أولاً .

الحس : أين كنتِ بحق الله ؟

رابعه : (في عتاب رقيق) ألا تردُّ السلام يا أخى .

الحس : (في ذهول) تناديتنى بأخيك .. وتلقين إلىّ بالسلام

وقد دخلتُ بيتك سارقاً !!

رابعه : ولكنك لم تسرق شيئاً .

الحس : لأتّى لم أجد ما يسرق .

رابعه : يخجلنى أن أقصدنى فلا تجد فى بيتى شيئاً

الحس : (ماخوذاً) أنتِ .. أنتِ .

رابعة : أختك يا أخى .

القصص : (وهو يلهث) أنت .

رابعة : (تقاطعة فى لطف) قل لى أولاً : لماذا تمد يدك

إلى عبدٍ مثلك ؟

القصص : إنها الحاجة .

رابعة : ولماذا لم تقصد بها مولاك ؟

القصص : (فى سخرية وآلم) مولاى .

رابعة : هل وقفت على بابه ؟

القصص : بل هربت منه .

رابعة : وكيف تهرب منه وهو معك يامسكين ؟

القصص : (وقد أدرك ما تعنيه) أنت . . . غمضتْ عينيَّ

يا سيدتى ؟

رابعة : أتسكلم عنه . . هو . . السيد الأكبر الذى لا يُغلق

بابه . . ولا يضيق رحابه .

القصص : (ييكى) .

رابعة : قم يا مسكين وتوضاً من هذا الإبريق واتجه إلى
الغنى الذى لا غنى سواه .

الحس : أفعل إن شاء الله . . ولكن : ألا سراج
نستضيء به ؟

رابعة : وهل نحن فى ظلام ؟

الحس : إتنى لا أراك يا سيدتى .

رابعة : لأنك تراه . . (ثم بصوت يتهدج) وحتى لا تشغل
العين بشئ سواه .

الحس : لا إله إلا الله .

رابعة : إلهى . . وسيدى . . وحبيبى :

هذا عبد قد أتى بابى ولم يجد شيئاً . : وقد دلكه
على بابك . ووقفته برحابتك . . وجعلته يلوذ
بجناحك . . فلا تحرمه من فضلك وثوابك .
يا غنى . . يا غنى . . يا غنى . .

ابن دينار : (بلهجة الإملاء يلى بقية القصة على تليذه أبى الحسن)
واستغرقت رابعة فى صلاتها .

أبو الحسن : (وهو يكتب) فى . . . صلا . . . تها .

ابن دينار : واستغرق اللص فى صلاته . . . وانشطر الليل وهما
غارقان فى صلاتهما ودعائهما .

أبو الحسن : (يكتب) و . . . دعائهما .

ابن دينار : فلما كان الفجر أفاقت رابعة من استغراقها فوجدت
اللس ساجداً يبكى وهو يقول :

اللس : (وهو يبكى) :

إذا ما قال لى ربى أما استحييت تعصنى ؟
فما قوى له لبا يعاتبنى ويُقصنى

رابعة : هوئن عليك يا أخى .

اللس : (فى رعب وقد فوجئ بصوتها فى استغراقه) إه . . .

من ؟ من ؟



.. لقد تحرّزَتُ رُوحی .. لقد وجدتُ نَفسی أخیراً ..

- رابعة : (فى عتاب لطيف) أهكذا تنسى أختك سريعاً !!
 اللص : أين . . أين أنا ؟
 رابعة : أنت حيث أراك الله أن تكون .
 اللص : (وقد تذكر كل شيء) آه . لا تؤاخذينى . . أنت صاحبة الدار . . ولكن هل قضينا الليلة معاً ؟
 رابعة : بل قضيناها معه .
 اللص : واحرّ قلباه .
 رابعة : كيف كانت ليلتك يا أخى ؟
 اللص : وقفت على بابہ بذلي وفقرى . فقبل عذرى وجبر كسرى . . (ويبكى)
 رابعة : ولهذا تبكى ؟
 اللص : (متفعلاً) إلتى أصلى بدموعى . . لقد تحرّرت روحى لقد وجدت نفسى أخيراً .
 (ثم ينهض صائحاً) كلا . . أنا لست عبداً . . أنا حرّ طليق . . لقد عرفت طريقى .
 (ثم يخرج صائحاً) أنا فى طريقى إليه . . أنا فى طريقى إليه .

رابعة : (تنجّه إلى السماء) إلهي : هذا عبد وقف ببابك ساعة
فقبلته ، وأنا مذ عرفك بين يديك .. أترك
قبلتي .. (وبكى) .

ابن دينار : (بلهجة الإملاء على نهاية القصة) وخرج اللص هائماً
على وجهه .

أبو الحسن : (يضع القلم ويقبل على شيخه) يا عجبا يا سيدي .
ابن دينار : إنها رابعة يا بني : إنك لم تدركها في صدر شبابها
لقد كانت شيئاً يدير الرءوس .

أبو الحسن : يا عجبا للخطيئة تورث ال .. (ثم يقطع جملة متحرراً)
أستغفر الله على أي حال .

سفيان : (مقبلاً) السلام عليكم .

أبو الحسن : (يهمس لابن دينار) هذا شيخنا سفيان (ثم يرفع
صوته بالسلام) وعليكم السلام ورحمة الله .

ابن دينار : وعليكم السلام ورحمة الله .. من أين يا سفيان ؟

سفيان : (في ألم) من عندها يا ابن دينار .

ابن دينار : وكيف حالها اليوم ؟

سفيان : كما كانت بالأمس : شيخوخة تعانها ، وساعات تقضيها .

ابن دينار : لا حول ولا قوة إلا الله (ثم تليده وهو يتهد)
النهاية .. أكتب يا قى

سفيان : ماذا تكتبون ؟

ابن دينار : نكتب أخبارها .

سفيان : أخبارها ؟ وهل تحتاج أخبار رابعة إلى كتابة
يا ابن دينار ؟

ابن دينار : إنما نكتبها للزمان يا أخى .

سفيان : إذا أردتم مزيداً من أخبار رابعة فعليكم
بخدمها عبدة .

ابن دينار : (متذكراً) خادمها عبدة .. لقد أذكرتني يا سفيان ..
أكتب .. أكتب يا أبا الحسن .

(ثم بلهجة الإملاء) حدثني جعفر بن سليمان ..
قال : حدثني العباس بن الوليد .. قال : قالت خادمها
عبدة :

* * *

عبدة : كنت أقوم على خدمة سيدي منذ أعتقت .
وما زلت في خدمتها إلى اليوم .. فينا أنا نائمة
ذات ليلة إذ خيّل إلى أنى رأيت نوراً ملائياً بين
السماء والأرض .. فقامت من نومي فزعةً فسمعتها
تبكي في كبد الليل حتى خيل إلى أن كل شيء يبكي
معه .. ثم سمعتها تقول :

رابعة : إلهي : أنارت النجوم ...

ونامت العيون ...

وغلقت الملوك أبوابها ...

وخلا كل حبيب بحبيه ...

وهذا مقامى بين يديك ...

وعزتك يارب ما عبدتك لجنتك . بل لمحبتك ، وليس

من أجلها قطعت عمري في الوصول إليك
إنه الحب .

الحب ... والشوق
وكيف حبيك ، وشوقي إليك ؟
(ثم تبكي وهي تغنى)

تركتُ الهوى مُذ عرفتُ هواكا
وأغلقتُ قلبي عَمَّنْ عَدَاكا
وقت أناجيك يا من ترى
خفايا القلوب ولسنا نراكا
• أحبك حُبَّين : حب الهوى
وجأ لأنك أهل لذاكا ،^(١)
• فأما الذى هو حبُّ الهوى
فشغلى بذكرك عَمَّنْ سواكا ،
• وأما الذى أنت أهلُّ له
فكشفتك لى الحُجب حتى أراكا ،
• فلا الحمد فى ذا ، ولا ذاك لى
ولكن لك الحمد فى ذا وذاكا ،

(١) الآيات التى بين الأقواس السبعة رابعة . والموسيق والعن : رياض السنباطى :

أجلك حين حب الهوى
وجا لأنك أهل لذاكا ،
وأشفاق شوقين : شوق النوى
وشوقاً لقرب الخطى من حماكا
فأما الذى هو شوق النوى
فسرى الدموع لطول نواكا
وأما اشتياق لقرب الحمى
فنار حياة فت فى ضياكا
ولست على الشجر أشكو الهوى
رضيت بما بثت لى فى هواكا

غاية و بليّة

وفي الكوخ الذي هو ندوة أهل الله .

وعلى المنامة التي هي عراب . رقت رابعة —

أرما بقي منها — تودع آخر ساعاتها من الدنيا ، وتستقبل
أول ساعاتها من الآخرة ..

خلق كثير من العلماء والأمراء والسادة وقوف على
بابها ينتظرون قضاء الله ..

عمار : (بصوت أروعته الأيام) لا حول ولا قوة إلا بالله .

ابن زياد : ألا نستطيع أن نلقى عليها نظرة أخيرة يا سفيان .

سفيان : أخشى ألا يكون ذلك مستطاعاً . يا ابن زياد .

ابن زياد : (بصوت يهيج) ولكني ... كنت ... أريد

أن ... تساعني هي على ما فرط مني يا سفيان .

سفيان : غفر الله لك يا ابن زياد ... ألا تزال تذكر هذه الأيام ؟

ابن زياد : وأندم عليها يا سفيان .

عمار : (وقد رأى عبدة مقبلة) هذه عبدة .

ابن زياد : (مقبلا عليها) عبدة .

سفيان : (وهو يكمث انفعاله) تعالى عبدة ... كيف حالها الآن ؟

عبدة : (بكي) :

ابن زياد : (في غاية الضيق والالام) ألا تجيبين سؤاله بدلا من هذا البكاء يا عبدة ؟

سفيان : (في حزن عميق) بل أجابت يا ابن زياد ... انطلق عبدة ... انطلق فلعلها في حاجة إليك الآن .

لا حول ولا قوة إلا بالله .
(وتبند الأصوات حتى تلاشى)

رابعة : (بصوت يرتش من الكبر والمرض) .

عجوزٌ سُحِلَتْ مريرتها ، وقد أوفت على الثمانين .
يا حبيبي :

لقد أنفقتها ثمانين عاماً وأنا أسعى إليك .. ومازلتُ
أسعى يا حبيبي . فتي أصل إليك يا روحَ روحي ؟
(ينبعث صوت التلى لجأة)

رابعة : (في دهشة وبصوت متقطع) يا إلهي .. هذا هو
التاي .. التاي .

عبدة : (داخلة عليها) سيدتي . إن خلقاً كثيراً من العلماء
والأمراء والسابلة وقوفٌ على بابك يكون .

- رابعة : دعى الخلق للخالق (ثم فى دمهشة من صوت الناي)
ولكن .. اسمعى .. عبدة .
- عبدة : (التى لا تسمع الناي) أسمع ماذا سيدتى ؟
- رابعة : (فى دمهشة) ألا تسمعين يا عبدة ؟
- عبدة : ماذا ؟
- رابعة : هذا .
- عبدة : أى شىء تعنين يا سيدتى ؟
- رابعة : أأست تسمعين الناي يا عبدة ؟
- عبدة : أنا لا أسمع شيئاً .. (ثم وهى تكاد تصعق من الدهش)
هيه .. يا إلهى .
- رابعة : عبدة ا
- عبدة : (تصبح) سيدتى .. إن وجهك تعودُ إليه .
فضرة الشباب ا
- (الناي مستمر تسمعه رابعة وحدها)
- رابعة : ذلك هو الناي .. وتلك علاماتها .. عبدة ا
- عبدة : سيدتى ا
- رابعة : أدخلى سفيان يحضر هذه الساعة .



سیدتی : ان وجهك تعود إليه نضرة الشباب

(ثم في مناجاة عميقة وقد خرجت عبده) يا حبيبي ..
 ها أنا ذى صاعدة إليك ...
 ولكنى خائفة .

ليس من نارك ، ولكن من هجرتك يا حبيبي .
 (الناي مستمر)

سفيان : (داخلا) سلام أهل الله .
 رابعة : سفيان .. تعال يرحمك الله .. أخبرني ألا تسمع
 صوت الناي .

سفيان : أى ناي يا أم الخير ؟
 رابعة : (مشيرة إلى الصوت) هذا .. ألا تسمع يا سفيان !!
 سفيان : ويك رابعة .. أنا لا أسمع شيئا .
 رابعة : (فى ألم) حتى .. أنت .. يا أخى (وبكى) .
 سفيان : لا عليك يا أخاه .. إنك اليوم تسمعين ما لا نسمع
 وترين ما لا ترى .

رابعة : عبدة ا
 عبده : (بصوت محقق) ما .. ماذا ؟

رابعة : هاتى ناي القديم .

عبدة : (مستكرة) ما ... ماذا ؟

رابعة : الناي القديم .. إنه على هذا الكفن .. لقد عزفت

عليه يوماً يا عبدة .. وأنا الآن ضعيفة لا أستطيع
ولا أقوى .

عبدة : (وهي تبكى) لا .. لا يا سيدتى !

رابعة : بل اعزفى عليه يا أختاه .. إن أنغامه اليوم ليست من

الأرض .. إنها أنغام من السماء !
(يرتفع صوت الناي فجأة)

رابعة : عند ما تغمض عيناى .

عند ما ترتجى يداى .

عند ما انطلق من بين هذا الجسد .

عند ما أبحررُ من تُرايىتى .

أطيرُ إليك يا حبيبى على أنغامه .

وأزفُ إليك على ألحانه .

يا أنت ...

يا أنا ...

يا هو ...

يا حيد ...

يا حيلي ...

عبدة : (تنفجر صارخة وهي ترتجى عليها باكية) سيدتي
سيدتي .

سفيان : (على بكاء عبدة) كل نفس ذائقة الموت ..

عبدة : (تبكي)

سفيان : إنا لله وإنا إليه راجعون !

(تسمع أصوات الدفوف من بعيد)

عبدة : (تشق من الدهش) هيه .. سفيان ! !

سفيان : (في ألم) ماذا ؟

عبدة : يا ربى .. إنها هي .. هي .. هي والله !

سفيان : هي من ؟ يا عبدة ؟

عبدة : مولاتى !

سفيان : رابعة ؟

عبدة : ألا تسمع يا سفيان ؟ ألا تراها مثلى ؟

سفيان : إنه مولاتك جثة هامدة أمامك يا عبدة .

عبدة : لا .. لا .. إني أراها الآن فى ثوب الصبا

إن وجهها يضىء ... إنها تبسم .

سفيان : (يضرب كفا بكف) لقد 'جنت عبدة

عبدة : ألا تراها يا سفيان ؟

سفيان : (مثلاً) عبده .

عبدة : إنهم يزفونها في السماء .

عروس في ثوب العرس .

ووراءها حوريات من السماء . . بأيديهن المظاهر

والدفوف .

(ثم تادى مارخة) سيدتى . . سيدتى .

(ترفع الدفوف فتطفي على صياح عبدة)

الحوريات : أوقدوا الشموس^(١) اقرأوا الدفوف^(٢)

موكبُ العروس في السما يطوف

والمنى فطوفة

اقرأوا الدفوف

رابعة : الرضا والنور والصبايا والبحور

والهوى يدور

(١) الموسيقى والحن : محمد الموجي

آن للغريب أن يرى حياة
يومه القريب شاطئ الحياة
والمنى قطوف
في السما قطوف
انقروا الدفوف

الحوريات : أوقدوا الشموس انقروا الدفوف
موكب العروس في السما يطوف
والمنى قطوف
انقروا الدفوف

رابعة : يا حبيب الروح تائه مجروح
كله مجروح
لائذ بالباب شوقه دعاء
والرضا رحاب يشمل الصفاء
والمنى قطوف
في السما قطوف
انقروا الدفوف

الحوريات : أوقدوا الشموس انقروا الدفوف
موكب العروس في السما يطوف
والمنى قطوف
انقروا الدفوف

رابعة : طاف بالسلام طائف السلام
يوقظ النيام
عهده الوثيق واحة النجاة
أول الطريق هو متناه
والمنى قطوف
في السما قطوف
انقروا الدفوف

الحوريات : (وأصواتهن تبتعد حتى تلتأني) .
أوقدوا الشموس انقروا الدفوف
موكب العروس في السما يطوف
والمنى قطوف
انقروا الدفوف



Biblioteca Alexandrina
مكتبة الإسكندرية



0250753